" أن نطمس وجوها " أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم " فنردها على أدبارها " فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها . والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين : أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها ؛ فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام . ووجه آخر : وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة . وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤا منه . وهي : أذرعات الشام يريد : إجلاء بني النضير . فإن قلت : لمن الراجع في قوله : أو نلعنهم ؟ قلت : للوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه . لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات " أو نلعنهم " أو نجزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت . فإن قلت : فأين وقوع الوعيد . قلت : هو مشروط بالإيمان . وقد آمن منهم ناس . وقيل : هو منتظر ولابد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن ا D أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فإن الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاؤهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن . فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله تعالى : " قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند ا من لعنه ا وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير " المائدة : 60 ، " وكان أمر ا مفعولا " فلابد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا .

" إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك با فقد افترى إثما عظيما " فإن قلت : قد ثبت أن ا D يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قول ا تعالى : " إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " ؟ قلت : الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله تعالى : " لمن يشاء " كأنه قيل : إن ا لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب . ونظيره قولك : إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء . تريد : لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله " فقد افترى إثما " أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه .

" ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل ا يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على ا الكذب وكفى به إثما مبينا " " الذين يزكون أنفسهم " اليهود والنصارى قالوا :

نحن أبناء ا وأحباؤه وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . وقيل : جاء رجال من اليهود إلى رسول ا A بأطفالهم فقالوا : هل على هؤلاء ذنب ؟ قال : لا . قالوا : وا ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار . فنزلت . ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند ا . فإن قلت : أما قال رسول ا A : " وا إني لأمين في السماء أمين في الأرض " ؟ قلت : إنما قال ذلك : حين قال له المنافقون : اعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد ا له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم " بل ا يزكي من يشاء " إعلام بأن تزكية ا هي التي يعتد بها . لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية . ومعنى يزكي من يشاء : يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به " ولا يظلمون فتيلا " أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم . أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم . ونحوه " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى " النجم : 32 ، " كيف يفترون على ا الكذب " في زعمهم أنهم عند ا أزكياء " وكفى " بزعمهم هذا " إثما مبينا " من بين سائر آثامهم .

" ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم ا ومن يلعن ا فلن تجد له نصيرا "